

شرح قصيدة رثاء لابن الرومي

إنَّ قصيدة رثاء لابن الرومي والتي مطلعها: بكاوكما يشفي وإن كان لا يجدي، واحدة من أشهر قصائد الرثاء في الشعر العربي، وهي من أشهر قصائد الشاعر ابن الرومي، وقد كتب هذه القصيدة في رثاء ابنه الأوسط الذي فُجِعَ بموته، ويبلغ عدد أبيات القصيدة 41 بيتًا، فقد نظمها الشاعر على البحر الطويل وقافية الدال المكسورة، وفيما يأتي شرح قصيدة رثاء لابن الرومي بشكل مفصل:

بكاوكما يشفي وإن كان لا يجدي
فجودا فقد أودى نظيركُما عندي
ألا قاتل الله المنايا وزمئِها
من القوم حَبَّات القلوب على عمد
تَوَخَّى جَمَام الموت أوسط صبيتي
فدنه كيف اختار واسطة العقد

يبدأ ابن الرومي قصيدة الرثاء بخطاب يوجهه لعينيه اللتان تتساقط الدموع الغزيرة منهما فيقول: إنَّ بكاوكما يشفي ما في صدري من أحزان ويخفف من مصابي رغم أنني أعلم أنه لا ينفع ولا يردُّ فقيداً، فجودا وأكثرًا من الدموع على من الشخص الذي مات والذي اعتبره بنفس مكانتكما فقد كان بالنسبة إليّ مثل عيني، وأسأل الله تعالى أن يقتل الموت وينهيه لأنه يتعمد إصابة ورمي من يعشقه القلب وينفطر لهم، فقد اختار الموت ولدي الأوسط، ولا أدري كيف اختار واسطة العقد والجوهرة الثمينة من بين الأبناء والفتى المميزة بالنسبة إليّ من بين إخوته جميعاً.

على حينَ شمْتُ الخبزَ من لمحاتِهِ
وأنستُ من أفعاله آية الرشد
طواه الردي عني فأضحى مزاره
بعيداً على قُرب قريباً على بُعد
لقد أنجزتُ فيه المنايا وعيدها
وأخلفتُ الآمالَ ما كان من وعد

فقد أتاه الموت بعد أن توسمتُ فيه خيراً وأنستُ في ملامحه وصفاته وأفعاله كثيراً من الرشد والصلاح والفلاح، ولكن الموت كان سريعاً فقد أذهه إلى مكان رغم قربه فإنه بعيد جداً، وأصبحت زيارته صعبة لا يمكن الوصول إليها رغم أن قبره قريب مني، فهو بعيد وقریب في نفس الوقت، وقد حققت المنايا فيه مواعيدها وأخلفت الآمال التي كنت أتمناها في شفائه من مرضه وعودته إليّ سالمًا غانمًا جميع وعودها.

لقد قلَّ بين المهْد واللحد ليثُهُ
فلم ينسَ عهدَ المهْد إذ ضمَّ في اللحد
ألح عليه النَّزفُ حتَّى أحالهُ
إلى صَفرة الجادي عن حمرة الورْد
وظلَّ على الأيدي تساقط نفسه
ويذوي كما يذوي الفصيبُ من الرند

لقد عاش مدة قصيرة من طفولته ثم جاءه الموت مسرعاً، وكانت الفترة من ولادته إلى وفاته قصيرة جداً، فلم ينسَ بعد طفولته حتى ضمه القبر بين جنبه إلى الأبد، فقد أهلكه المرض والنزيف وما زال يلحُّ عليه وتنزف دماؤه حتى تحول لونه إلى اللون الأصفر الباهت من شدة المرض بعد أن كان لونه بلون حمرة الورد النضرة المتوهجة، وظلَّ بعد ذلك يضعف وتتساقط حياته أشلاءً على الأيدي التي تحيط به تحميه وترجو شفائه، وصار يضعف شيئاً فشيئاً حتى أصبح مثل عود الرند الرفيع الذي ينحني من تلقاء نفسه لشدة ضعفه.

عجبت قلبي كيف لم ينفطر له
ولو أنه أفسى من الحجر الصلْد
لعمري لقد حلت بي الحال بعدة
فيا ليت شعري كيف حلت به بعدي
تكلت سروري كلُّه إذ تكلته
وأصبحت في لذات عيشي آخاً زهد

ولكن أكثر ما أثار تعجبي واستغرابي كيف لم ينفطر قلبي على موته، ولم يتشظى قطعاً من الألم والحزن على فراقه، حتى لو كان قلبي قاسياً مثل الحجر شديد الصلابة والقساوة، فالمصيبة التي وقعت عليه تقصم أفسى الحجارة وتذك الجبال من هولها، وقد تغير أحوالي كثيراً منذ فقدته وصار بعيداً عني، ولا أدري كيف أصبحت أحواله هو من بعدي بعد أن مات وحيداً، فقد فقدت بموته سعادتِي وسروري وكل فرح لي في هذه الدنيا، فلا شيء بعد الآن يمكن أن يعيد لي السرور والسعادة، وحتى أنني في لذات العيش ونعيمها زاهداً متقشفاً، وتغيرت كل حياتي بسبب فراقك وبعدي عني.

أريحانة العينين والأنفِ والحشا
ألا ليت شعري هل تعيرت عن عهدي
سأسقيك ماء العين ما أسعدت به

وإن كانت السُّقيا من الدَّمع لا تُجدي
عليك سلام الله مني تحية
ومن كلِّ غَيْثٍ صادقِ البرقِ والرَّعدِ

يخاطب الشاعر ابن الرومي ولده الذي فقده أيضاً فيقول: يا ريحانة عيني التي أنظر إليها وأراها في كل حين ويا ريحانة الأنف التي أشم عطرها وعبقها في كل وقت، ويا ريحانة الحشا التي يعتصر قلبي المأ على فراقها، لا أدري إذا ما كنت قد تغير عن عهدي بعد أن فارقتني وذهبت إلى دار لا أحد يعلم أسرارها، ورغم ذلك سوف أسقيك من دموع عيني حتى ترتوي وتسعد بهذه السقيا، رغم علمي أن سقيا الدموع لن تنفعك ولا تفيدك بشيء، فأسال الله تعالى أن يلقي عليك السلام في كل وقت وحين، وأن ينزل السلام عليك مع كل مطر هائل يحمل الخير على قبرك وينيره بنور من الله تعالى.

الصور الفنية في قصيدة رثاء لابن الرومي

لقد احتوت قصيدة رثاء لابن الرومي كثيراً من الصور الفنية والبلاغية والتي تزيد من جمال المعاني والألفاظ وفي طرق إيصالها إلى الناس، وتستخدم الصور البيانية عادة في الشعر العربي بشكل كبير مثل التشبيهات والكنيات والتوكيد والطباق وغير ذلك من المحسنات البلاغية، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في قصيدة رثاء لابن الرومي:

- **أسلوب الكناية:** يكثي الشاعر بكثير من العبارات أو الألفاظ عن معاني أخرى غير المعاني الأصلية التي وضعت لها أساساً، كما في قول الشاعر: ولو أنه أفسى من الحجر الصلِّد، فقد كنى بهذه الجملة أن القلب القاسي جداً لا بد أن ينفطر على موت ابنه، وفي قوله: ألح عليه النَّزْفُ حتَّى أحاله إلى صُفْرة الجادِ عن حُمْرة الوُرْد، فقد كنى عن المرض بصفرة الجادي وعن الشباب والصحة بحمرة الورد، وهي معانٍ غير المعاني الأصلية لهذه التعبيرات.
- **أسلوب الطباق:** ورد أسلوب الطباق أكثر من مرة في هذه القصيدة كما في قول الشاعر: طَوَّاه الرَّدَى عَنِّي فأضخى مَزَارُهُ بعيداً على قُرْب قريباً على بُعْد، في هذا البيت ورد الطباق بأكثر من صيغة، حيث أن بعيداً وقريباً كلمتان متعاكستان، وبعد وقرب أيضاً متعاكستان.
- **استعارة مكنية:** وردت الاستعارة المكنية في قوله: تَوَخَّى جَمَامَ الموتِ أوسَطَ صَبِيئِي، فقد شبه الموت بالشخص الذي يستطيع أن يختار وينتقي ما يشاء، فحذف المشبه به وهو الشخص أو الإنسان وأبقى على إحدى صفاته وهي الاختيار، وذكر المشبه وهو الموت.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة رثاء لابن الرومي

العديد من الزوار قد يعانون من فهم معاني بعض الكلمات في قصائد الشعر العربي خصوصاً القصائد القديمة الجاهلية والعصور الإسلامية الأولى، حيث أن كثير من تلك الكلمات التي يستخدمها الشعراء في الشعر لا تستخدم في الحياة العادية بين الناس وقد تطورت اللغة كثيراً مع مرور الزمن، كما أن اللهجات العامية تختلف عن اللغة العربية الفصيحة المستخدمة في الأدب العربي بشكل خاص، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح أهم المفردات في قصيدة رثاء لابن الرومي:

المفردة	شرح المفردة
أودى	هلك ومات
نظيركما	شبيهكما ومثلكما
شمت	توقعت وأنست
توخى	اختار
أنجزت	حققت
الجادى	الزعفران وهو نبات أصفر مائل للحمرة
يدوي	يضعف ويهلك
تكلت	فقدت وخسرت

القاسي شديد القساوة

الصلد

القبر

الحد

المطر

الغيث